حوار خاطف مع فتى فلسطين

خالد أبو خالد

إلى محمود درويش

ننتهي . . يا فتى
حيث لا وقت للحبّ
أو للسفرْ
ننتهي . . حيث سهلٌ من الحزن يبقى
ونهر من الحزن يبقى
ولا شيء بعدُ . سيبقى . . سوى
«ميجانا
ميجانا»
يا عذاب الجبالِ
الرجالِ القريبين ليلاً
إليها . .

نشدّ الدَّمَ . . البحَر . . والريحَ
والجمرَ في القلب
والجرح في العمر

لا ننتهي يا فتى
ننتهي
حيث لا وقت للورد
أو للحَجَر
عرسنا . .
والترابُ . .
يضيعان في كأس ماءٍ من البحرِ
إن الذي يستعير برامجنا . .
الآن يرمي بها للكلاب
وللجائحهْ

ننتهي . . حيث لا ننتهي
صدأ
ورقٌ
رائحهْ

مرحباً . . إذ تجيء لنفتتح الليلة الذاكره
هذه شمسنا واحدة
أرضنا
برتقالتنا واحده
طلقة واحده
والفضاء الفسيح بنا ضيّق حولنا

ضيّق يا فتى
فاكتئب في المكانْ
ابتسم في الزمانْ
ننتهي . . حيث لا ننتهي . . يا فتى
أمطرت غيمةٌ بالكلامْ .

ههنا فاصل ننتهي عنده
ننتهي بعده
نلتقي
حيث لا ننتهي
ننتهي . . في المدار البوارْ
والنهار دم وارفٌ
مدرك بعضهُ
واحداً . .
واحداً
عشرة
خيمة
مهجراً
معبراً
والصغارْ
والمسير انتظارْ
ننتهي يا فتى . .
حيث لا وقت للسيف
أو للشجر

مرةٌ كأسنا . . خدعة
كأسنا . .
هل ترى أنت مثلي صداقاتنا العابرْه
والحوار الذي بيننا
تعبٌ . . واحتضارْ
هذه ضربة وزّعت نفسها بيننا
كسرة
كسرة
نجمة مرة
أو وسام
ضربة . . ضربة
فانتبه
قلتَ:
ـفات الأوانُ
انتبه أنتَ
نسقط بين الرغيفِ
وبين المسنّن للأرضِ
نسقط
والأرض واسعة . .
وتضيق بنا
والسماء تضيق بنا والهواء

الهواء
الهواء

متعبٌ صاحبكْ
متعب قاتلكْ..
متعب ورق المكتباتِ
الاذاعات متعبةٌ
متعب.. متعبٌ
أعطني من يديك.. يداً
أعطني ريشتي
فالطريق العَمى
والرجال الدّمى يقطعون الطريقْ
والعتابا حريقْ
ودعيني.. غداً
ودعي الراحلينْ
إن قلبي يشير الى المقبلينْ

هنا قبل أن يولد القمح من أمه.. ننتهي
قبل أن ننتهي
حيث لا وقت للطير
والبرق
في صورة واحده

ننتهي.. يا فتى
أين قبر الرجال الجماعيُّ؟
قف..
أمك الآن باب المجالس
ترنو بصورتك الغائبة
هل ترى يا فتى؟
أنني دمعها
من عظامٍ
ولحمٍ
وضوء

وأمشي إليها
تراها يداي..
مغلق بابنها زمن..
ينتهي..
يبتدي
يرتدي صوتها

آه «يمة»..
أغيب.. وصوتي يغيبُ
وتغرق في بهجة الحزن أمي
وأغرق
نغرق في حفنة من ترابْ

والعتابا دمٌ.. والشباب
يغطون وجه اليبابِ
العتابا دمٌ.. والشَبابْ
سفن من روق
والرجال.. علق
إنه المفترقْ

ننتهي.. يا فتى.. حيث لا ننتهي
مفجع أو أزورك في الليلِ
أو أن أزورك سراً
ووحدك بالسرّ تأتي إليّ
ـانتبه
ـإننا وحدنا
لا تخف
ـانتبه
ـلا تخف
إننا وحدنا
ـوالجدارُ؟
ـالجدار.. جدارٌ
ـهو السجنُ
ـلا
ـبل هو السجنُ
ـلا
ـأو هو القتلُ
ـلا..
ـبل هو الْ
ـوحدنا.. لا تخف
إنني منصتٌ
ـ..
ـقلت ماذا.؟ فهمتُ
ـ..
ـوماذا؟
فهمتُ

حرقة أيها الجبليُّ
الهوى حرقةٌ
والدويْ

هو الموت سيّان يأتي غداً
أو أتى..
يا فتى..
إنه موعد مُشرع للذين أتواْ
والذين قضواْ
موعدٌ...

[إشربْ قليلاً من الشاي
واشعل لفافتك الآن قبل الغروبِ
لنأتِ الى حيث نصطاد بعض الرَصاصات
هذا خلاصٌ
وإن فلسطين غاليةٌ]
يا فتى ننتهي.. حيث لا ننتهي
قلتَ
ـإن تعطني جرعة من مياه الشريعه
رافقتك العمر.. ياصاحبي..
متعبٌ صاحبكْ
إنما أنت بين عيوني وبارودتي
موغلٌ يا فتى
فابتعد في دمي
واقترب من دمي
حيث لا وقت للزيف
أو للضجر

ننتهي.. يا فتى
حيث لا ننتهي
فانتظرني..
انتظرني
انتظر يا فتى
وانتظر

دمشق

* «فتى فلسطين» اسم حركي لفدائي من قوات العاصفة ـفتحـ وكان رفيق سلاح للشاعر، واستشهد في عملية على «التلة الحمراء» في غور فلسطين الجنوبي في أوائل عام ١٩٧٠